موقفى فى جميع المسائل الفلسفية مستمد فى أهم معالمه من جورج مور»، وبفضل «مور» الذى لم يكن قد كتب عندئذ إلا بضعة مقالات فى بعض المجلات، أصبح رسل من أتباع نظرية المعرفة الواقعية الجديدة»[1].

رابعا: تصور الخيرية

ما المقصود بالخيرية؟ وهل يختلف الخير فى مفهومه الحدسي عن مفهومه فى النظرية النفعية والنظريات الأخرى؟ وما الجديد الذى أضفاه رسل فى تصوره الجديد للخيرية الميتا أخلاقية؟ أم جاءت تصوراته الحدسية للخيرية مطابقة لصديقه جورج إدوارد مور؟ وما العلاقة بين تصور الخير وتصور الصواب؟

يؤكد رسل على بديهيات الخيرية الأخلاقية، تلك البديهيات التى تحدث عنها «مور» من قبل فى «البرنكيبيا الأخلاقية»، فيرى رسل أن المعنى المقصود بالخير Good والسيء Bad هو أنهما عبارة عن أفكار Ideas محفورة فى ذهن كل إنسان، وبالتالى تكون هذه الأفكار عامة لدى البشر، وتنشأ هذه الأفكار البسيطة فى ذاتها من خلال أفكارنا المعقدة complex أى أنها تنشأ من خلال تحليل الأفكار الأكثر تعقيدًا[2].

إذن يؤكد رسل فى بداية تحليله للحد «خير» بأنه مفهومٌ بسيطٌ، نشأ من خلال تحليل الأفكار المعقدة الموجودة بالذهن، ولكن عندما يقوم شخص ما بسؤالنا «وماذا تعنى كلمة الخير؟ فإن الإجابة يجب أن تكون متطابقة ليست مع المفهوم اللفظى للكلمة بل مع واقعيتها، حتى تكون فى تطابق مع السؤال المطروح عن معنى كلمة «المخمس» Pentagone (الشكل الهندسى ذو الأضلاع الخمسة) [3].

ولكن هذا الوصف السابق بين المحمول «خير» وكلمة «المخمس» ينبغى أن يستدعى الفكرة المناسبة فى عقل السائل، حيث أنه من الممكن أن يحتوى الوصف على الخاصية ذاتها للسؤال المطروح عن مضمون فكرة الخير good، فإنه تشبه الطريقة التى يتعلم بها الأطفال أسماء

(1) رودلف متس: الفلسفة الإنجليزية فى مائة عام، مرجع سابق، ص177.

(2) Bertrand Russell: The Elements of Ethics, op. cit, p.16.

(3) Ibid: p.16.

الألوان التى تعرض عليهم، فتراهم يقولون أن هذا الكتاب لونه أحمر، ونظرًا لأنهم خائفون فهم يعتقـدون أن كلمة «أحمر» تعنى الكتاب، ولكن تعرض عليهم الوردة الحمراء، والكرة الحمراء، إلى غـير ذلك. فيقولون أن هذه الأشـياء جميعهـا حمراء، وهكذا تأتى فكـرة الاحمرار إلى عقولهم وأذهانهم، على الرغم أنه من المسـتحيل عليهم أن يصلـوا إلى تحليل مفهوم «الاحمرار» Redness بل هم عاجزون عن أن يجدوا العناصر والمكونات التى تتألف منها الكلمة[1].

يقارن رسـل كما فعل «مـور» من قبل بين الحد «خير» و«اللون»، ولكن إذا كان «مـور» يقارن من حيث البسـاطة[*] بين الخير واللون الأصفر[2]، فإن رسـل يقارن بين الخيرية واللون الأحمر. فالخيرية ليسـت مكونة من أجزاء، فهى غير قابلة للتحليل، كما أنها خاصية بسـيطة، وغير قابلة للتعريف، فهى مثل اللون الأصفر عند «مور» واللون الأحمر عند «رسل»، كما أنه تتشابه مع الكيفيات الأخرى البسيطة التى لا تعد innumerable ولا تحصى[3].

ولكـن رسـل ينبهنا إلى أن الأمر فيـما يتعلق بالخيرية من حيث وصفها بالبسـاطة وبعدم القابليـة للتعريـف Indefinability، أو التحليـل إنما يعـد أكثر صعوبة فى الفهـم عند مقارنته بالحدود الأخرى التى نصفها بهذه الصفات مثل الألوان. وبرغم تنبيه رسل إلى هذه الصعوبة فقد مضى فى تأكيده على أن اللون «أحمر» لا يمكن تحليله أو رده إلى مكوناته الأكثر بساطة، وذلك بنفس المعنى الذى يكون فيه مفهوم الخير مفهومًا بسيطًا لا يقبل التحليل أو التعريف[4].

يستطرد رسـل تصوره لمعنى «الخير» فيشرح عبارته السابقة، فيقول «أنه فى حالة «الخير» يكـون الأمر أكثر صعوبة، وذلك لكون محمول «الخيريـة» Goodness لا يمكن أن يدرك من خلال الأحاسـيس Senses مثل مفهوم «الاحمرار». ونظرًا لأنه يوجد شـبه اتفاق على الأشـياء الخيرة أكثر من الأشـياء الحمـراء، فإن هذا الأمر ربما يكون أحد الأسـباب التى تؤدى بالناس إلى أن يعتقـدوا أن محمـول «الخير» يمكـن أن يحلل أو يرد إلى فكرة أخـرى مثل فكرة السرور

(1) Ibid: p.16.

(*) My point is that «good» is a simple notion, just as «yellow» is a simple notion.

(2) G. E. Moore: Principia Ethica, op. cit, p.7.

انظـر أيضًا: محمد مدين: جورج إدوار مـور، مرجع سابق، ص105.

(3) H. J. Paton: The Good Will, op. cit, p.38.

(4) Bertrand Russell: The Elements of Ethics, op. cit, pp.16,21.

pleasure أو موضوع الرغبة object of desire وهذا هو السبب الأول»[1]. أى أن فكرة الإحمرار تختلف عن محمولات الخير.

أما السبب الثانى، والذى اعتقد أنه يكون كافيًا ووافيًا، هو ذلك الخلط الشائع بين الأشياء، ذلك الخلط الذى دفع بالناس إلى الاعتقاد بأنهم غير قادرين على فهم محمول «الخير» إلا عندما يعرفونها ثم يقومون بتحليلها، غير مدركين أن الأفكار يمكن أن تتحدد بالأفكار الأخرى، فعندما يبدأون التفلسف يعمدون إلى نسيان كل شيء مألوف، وذلك على النقيض من اكتسابهم لمفهوم «الاحمرار» أو أى لون آخر من الألوان التى توضح كيفية كون الأفكار مرئية، بينما يكون التحليل والتعريف أمرًا مستحيلا[2].

وهنا يستطيع الباحث أن يقارن من حيث الإدراك لكل من صفة «الخيرية» وصفة «الألوان»، فنجد أن: الخيرية كيفية لا ندركها بالحواس خلافًا للألوان التى ندركها بالحواس، كما يوجد خلافات كثيرة تتعلق بالأشياء التى يتم وصفها بأنها «خيرة»، فليس الأمر على هذا النحو فيما يتعلق بالألوان.

إن ما قام به رسل فى مجال إثبات عدم إمكانية تحليل وتعريف الحد «خير» قد سبقه إليه «مور»، وما فعله رسل هنا هو مسايرة صديقه فى حدسيته، بل أضاف «مور» إلى ما سبق تقديمه أن محمول «الخير» عبارة عن كيفية غير طبيعية non- natural كما أنها خاصية بسيطة simple وغير قابلة للتعريف أو التحليل[3]. مثلها فى ذلك مثل اللون الأصفر، ولكنها قادرة على أن يتم إدراكها بشكل مباشر عن طريق الحدس، بل أضاف رسل إلى ذلك «أن الخير والسيء عبارة كيفيات بسيطة qualities تخص الأشياء بطريقة مستقلة عن آرائنا، مثلها فى ذلك مثل فكرة الدائرة Round والمربع Square فعندما يختلف شخصان على وصف شيء ما بأنه «خير» يكون واحدٌ منهم فقط على صواب، وعلى الرغم من ذلك يكون من الصعوبة لدينا أن نعرف أيضًا أياً منهم على صواب وأيهما على خطأ[4]. وعلى ذلك يمكن القول أن فلاسفة النظرية

(1) Ibid: p.16.

(2) Ibid: pp.16,17.

(3) G. E. Moore: Principia Ethica, op. cit, pp.7,8,15,17,21.

(4) Ronald Jager: The Development of Bertrand Russell's Philosophy, op. cit, p.465.

الحدسية هنا يقفون على النقيض من الفلاسفة الطبيعيين، من حيث كون الخير فكرة بسيطة غير قابلة للتحليل والتعريف.

لقد اعترف «مور» بأنه لا يوجد من بين فلاسفة الأخلاق من أدرك حقيقة أن الخيرية الأصيلة intrinsic goodness كيفية quality بسيطة لا تقبل التحليل أو التعريف سوى مواطنه الفيلسوف الإنجليزى «هنرى سدجويك» Prof. Henery Sidgwick فى الفصل الثالث من كتابه «مناهج الأخلاق» Methods of Ethics[1] وكذلك عالم النفس النمساوى «فرانز برنتانو» صاحب كتاب «أصول معرفتنا بالصواب والخطأ» the Origin of Our Knowledge of Right and Wrong[2]. فمجمل القول فى النظرية الحدسية هنا هو أن الخيرية خاصية بسيطة، وفريدة وغير قابلة للتحليل أو التعريف، هى عبارة عن موضوع الفكر object of thought أو الحدس intuition. كما أن الخيرية عبارة عن كيفية quality كما أنها تعد خاصية property ولكنها خاصية غير طبيعية not a natural property كما أنها موجودة ومتأصلة فى الأشياء الكثيرة التى لا تعد ولا تحصى[3]. ولم يقف «مور» عند هذا الحد، بل رأى أن الصدق truth ذاته خاصية property حتى قال «أن الصدق خاصية بسيطة غير قابلة للتحليل»[4].

وعندما كانت الخيرية عند «مور» و«رسل» خاصية غير طبيعية، فقد حاول «مور» أن يبرهن وسايره رسل فى ذلك، على أن معظم الفلسفة الخلقية التى كانت موجودة فى الماضي قد وقعت فى خطأ جسيم، وذلك عندما حاولت أن تجعل «الخيرية» إلى جانب الخصائص الطبيعية الأخرى، ولهذا السبب أنكرت النظرية الأخلاقية بوصفها نظرية، وكذلك أهملت مضمون القيمة. لذلك احتفظ «مور» بالخاصية القيمية للشيء- ألا وهى «الخيرية»- تلك الخيرية التى توجد داخل الشيء، وتكون مرتبطة بالطبيعة الذاتية للشيء ذاته. ولكن ليست هناك طريقة أخرى لهذه الخصائص الأخرى المتناقضة، كما اقترح «مور» أن الواجب duty و«الإلزام» obligation ليسوا كالخيرية من حيث التعريف أو التحديد، فأى جملة إلزامية تنجذب نحو

(1) G. E. Moore: Principia Ethica, op. cit, p.17.

(2) محمد مدين: التوجهات الميتا أخلاقية لنظرية مور المعيارية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م، ص ص8،9.

(3) H. J. Paton: The Good Will, op. cit, p.39.

(4) السيد عبد الفتاح جاب الله: فلسفة اللغة والمنطق عند ستراوسن، مرجع سابق، ص54.

نوعين من الجمل الإلزامية: الأولى هى الإدعاء claims نحو القيم الأصيلة(*) intrinsic value من جهة، والأخرى تكون النتائج المعتادة للأفعال[1].

يستطيع الباحث المتخصص فى النظرية الأخلاقية أن يستنتج من النصوص السابقة، أن رسل يقرر أن هناك حقيقة بالغة الأهمية، وهى أن المحمول «خير» عبارة عن فكرة بسيطة Good is a simple nation[2]، كما أنه يشير إلى كيفية لا تقبل التعريف أو التحليل حيث يمثل جوهر المعرفة التى كانت موجودة،، والتى سوف تكون[3].

ولذلك أصبحت كلمة «الخير» موضوعًا لجدال وخلافات فلسفية كبيرة، وذلك على النقيض من كلمة «الرضا» satisfying فكلمة «الرضا أو السرور» لها معنىً واضحًا، ولكن إذا

(*) آثرت هنا الإتفاق مع أستاذى الدكتور: محمد مدين فى ترجمته للكلمة الإنجليزية intrinsic value بالقيمة الأصيلة، بحيث تعنى هنا الكيفية «المتأصلة» فى طبيعة الشىء، ورفضت ترجمتها إلى الكلمات الشائعة والمعتادة من قبيل «ذاتى» و«باطنى» والتى قد تكون ترجمة حقيقية للكلمة، ولكن فى مجالات أخرى غير دراسة القيمة، كما أن كلمة «ذاتى» قد تختلط فى ذهن القارئ بكلمة subjective بينما المعنى المقصود به فى النظرية الحدسيةعند برتراند رسل، و«مور» وغيرهم من الفلاسفة اللاطبيعيين يقترب من الموضوعية objective فإذا ترجمت الكلمة إلى معنى غير الأصيل كان ذلك خطأ، حتى لا نقول فى الترجمة الأخلاقية مثلاً (أن القيمة الذاتية موضوعية) كما أنه ليس من الضرورى أن يكون ما هو «باطنى» كيفية أصيلة فى الشىء، فمن الممكن أن يكون عارضًا وليس أصيلا. وقد فطن إلى ذلك كل من «مور» و«رسل» فى كتاباتهم الأخلاقية، فقد ذكرها «مور» عند مقارنة محمول «الخير» بالخير فى ذاته good in itself وكذلك بين «القيمة» و«القيمة الأصيلة»، بل خصص فصلاً مستقلاً لمناقشة القيمة الأصيلة intrinsic value تحت نفس المعنى، فى كتابه المسمى بالأخلاق، أما فى مقاله «هل الخيرية كيفية؟» Is Goodness a Quality? المنشور فى كتابه أوراق فلسفية، استخدم المصطلحين التاليين: intrinsic value وترجمتها بـ»القيمة الأصيلة»، والمصطلح الثانى كان intrinsically good وترجمتها بـ»الخير على الأصالة»، وقد تأثر بها «برتراند رسل» فى مقاله «عناصر النظرية الأخلاقية».

انظر:

- محمد مدين: التوجهات الميتا أخلاقية لنظرية مور المعيارية، مرجع سابق، ص85.

G. E. Moore: Principia Ethica, op. cit, p.21.

G. E. Moore: Ethics, Oxford University Press, London, 1911,pp. 116-131.

G. E. Moore: Philosophica Papers, George Allen & Unwin LTD, London, 1959, pp.93-96.

(1) H. J. Paton: The Good Will, op. cit, p.465.

(2) Bertrand Russell: The Elements of Ethics, op. cit, p.22.

(3) Ibid: p. 21.

كانت كلمة «الخير» تعنى السرور أو الرضا فهذا من شأنه أن يعرض سؤالاً مؤداه: كيف أن المحمول «خير» كلمة محددة وتجيب على التساؤلات المعقدة فى فلسفة الأخلاق[1].

من هنا وجب علينا أن نقول فى النظرية الحدسية وتصور «الخيرية» أن المحمول «خير» كلمة لا تحدد أو تعرف كمفهوم لكلمة «الرضا أو السرور» لأننا فى هذه الحالة لا نحدد «جوهر» المحمول «خير» ولكننا فقط نحدد موضوعها ومادتها، وهى صفة الخيرية Goodness[2].

إنه لشرح المقصود بالخير والسيء فيما يقول رسل، أن الشيء يكون خيرًا عندما يكون خيرًا فى حد ذاته it's own account، كما ينبغى أن يكون موجودًا exist ويكون الشيء سيئاً عندما يمثل شرًا فى حد ذاته، كما ينبغى أن لا يكون موجودًا. وأنه إذا كان باستطاعتنا أن نجعل من الشيء موجودًا أو غير موجودٍ، فإنه ينبغى علينا أن نجعل الشيء موجودٌ إذا كان خيرًا، وغير موجودا إذا كان سوءًا[3].

فإذا كان الشيء خيرًا، فإنه يجلب لنا المتعة والسرور فى وجوده، و إذا كان سيئًا فإنه يسبب الألم Pain فى وجوده، ولكن فى الحقيقة مثل هذه الخصائص السابقة لا تزيد عن كونها افتراضات presupposes لمفاهيم الخير والسيء، كما أنها مفيدة فى قدرتها على استدعاء الأفكار الصحيحة فقط فى كونها عبارة عن وسائل، ولكن لا يمكن الاعتماد عليها كأفكار للتعريفات المنطقية[4]. كما أنه ربما يعتقد البعض أن الخير يمكن تحديده أو تعريفه could be defined بوصفه كيفية quality ينبغى محاولة تقديمها، ولكن هنا وفى هذه الحالات يجب علينا وضع محمول «الخير» فى موضعه الصحيح كفكرة غير قابلة للتعريف، حيث أن كلمة «الخير» أشمل وأعم من تلك المعانى التى نحاول تقديمها عندما نتحدث عن السلوك الإنسانى[5].

لقد وجد الباحث أن رسل فى هذه العبارات الحدسية يدافع عن أفكار صديقه «مور» فى تفسيراته الميتا أخلاقية، فكانت نظرية رسل عن الخيرية هنا عبارة عن نقد لفلسفة السلوك

(1) George F. Hourani: Ethical Value, The University of Michigan press, Ann Arbor, 1955, p.61.
(2) Ibid: p.62.
(3) Bertrand Russell: The Elements of Ethics, op. cit, p.17.
(4) Ibid: p. 17.
(5) Ibid: p. 17.

الإنسانى، أو إن شئت فقل الفلسفة الخلقية، فرسل هنا يدافع عن منطق التصورات الأخلاقية، حيث قام برفض التحليلات والتعريفات الطبيعية لمحمولات القيمة الأخلاقية، حتى لا يقع فى شباك المغالطة الطبيعية، وقد أدت به هذه النظرة إلى التخلى عن جعل الخيرية نتيجة نفعية تساوى أفكار السلوك والرضا، إلى غير ذلك من المفاهيم الدالة على السعادة فى مجال البحث الخلقى، فالتصورات الأخلاقية أو منطق النقد الخلقى للخيرية، لا يتشابه فى هذه الحالة مع أى النظريات الأخلاقية سواء كانت النفعية فى نتائجها أو الطبيعية فى رغباتها أو الإنفعالية فى عواطفها و إحساساتها.

وتأكيدًا لما سبق رفض رسل إدخال تعريفات السرور إلى الخيرية، أدى به أيضاً إلى رفض اعتماد الخيرية على الرغبة، فتراه يقول: «أن هناك رؤية معدلة تقول أن الخير يعنى شيئًا متشابهًا مع الرغبة desired فعندما نقول أن هذا الشىء خيرٌ، فإننا نعنى أنه شىءٌ مرغوبٌ فيه، ولذلك يكون الشىء «خيرًا» إذا أردنا اكتسابه أو خشينا فقدانه»[1].

وبما أنه يوجد هناك رغبات سيئة، فعندما يتحدث الناس عن الرغبات السيئة bad desires فإنهم يقصدون رغبات ما هو شر، فعلى سبيل المثال، عند رغبة شخص ما فى أن يؤلم شخصًا آخر، فإنه من الواضح فى هذه الحالة أنه لا يرغب فى الخير، بل يرغب فى السوء، ولكن المؤيدين لوجهة النظر التى تقول أن الخير هو ما نرغب فيه، سوف يقولون، أنه لا يوجد شىءٌ خيرٌ وسىءٌ فى وقت واحد، كما أن الشىء فى ذاته لا يمكن أن يكون على حالتين من الخير والسوء، فإن ما يمثل خيرًا لشخص ما، قد يمثل شرًا لشخص آخر[2].

يؤكد رسل أن تصور الخير والسوء فى النظرية الأخلاقية، ليس مفهومًا أو تصورًا شخصيًا حتى يتعلق بالرغبات الإنسانية النسبية، وذلك لكون الرغبات شخصية، أما الخير والسوء فإنه أعم وأشمل من معانى الرغبات (أعنى تصورات كلية)، كما أن مفاهيم الخير والسىء تعد مفاهيمًا أساسية فى بناء النظرية الأخلاقية، وذلك لكونهما مفاهيم غير شخصية، وبهذا المعنى يكون الشىء خيرا عندما يكون خيرا فى ذاته، ويكون خيرا فى وجوده، وليس خيرا باعتباره نتيجة يستمتع بها شخص ما فى الحياة[3].

(1) Ibid: p. 17,18.
(2) Ibid: p. 18.
(3) Ibid: p. 18.

كما أن واقع الحياة المعاشة يقرر أن الشيء إما أن يكون موجودا أو غير موجودٍ، ولا يوجد احتمال وسط بين الوجود والعدم، فحقيقة الرغبة عند شخص ما قد تكون شيءٌ بغيضٌ عند شخص آخر، وذلك يدلل على أن الخير محمولٌ يتعلق بالنظرية الأخلاقية، ومنطق التصورات الأخلاقية، وليس متعلقًا بالرغبات الشخصية[1].

وهنا نجد «ألفريد ايونج» يتفق مع كل من «رسل» و«مور» فى تقرير موضوعية التصورات الأخلاقية، فإن كان «ايونج» قد اختلف معهم فى التصور ذاته، فإنه يتفق معهم فى مبادىء وحيثيات التحليل والنقد الأخلاقى، فتراه يقول «لو أننا وضعنا فى اعتبارنا ما يمكن أن يحدث لو أن كل الحدود الأخلاقية قد أمكن الوصول إلى تعريفات لها، فعندئذ سترد هذه الحدود الأخلاقية إلى تصورات لا أخلاقية non- ethical ومن ثم تصبح الأخلاق مجرد فرع أو قسم من العلم الذى تنتمى إليه التصورات «اللا أخلاقية» التى عرفنا بها الحدود الأخلاقية الأساسية»[2].

ويستكمل «ايونج» تحليله للخيرية فيقول «إذا اعتبرنا الخير good الحد الأخلاقى الأساسى، وأننا قد عرفناه بقولنا أن الخير هو (ما يرغب فيه الإنسان) فستصبح دراسة الأخلاق عندئذ مجرد فرع من فروع علم النفس، طالما أن علم النفس هو العلم الذى يتولى دراسة وقائع واتجاهات الحياة العقلية التى تندرج تحت مصطلح الرغبة. وأما إذا عرفنا الخير بأنه هو ذلك الذى ينسجم مع عملية التطور الطبيعى فعندئذ تصبح دراسة الأخلاق جزءًا من علم الأحياء، وأما إذا عرفنا الخير بأنه هو ذلك الذى يؤدى إلى مجتمع مستقر، فإن دراسة الأخلاق ستصبح عندئذ جزءًا من علم الاجتماع»[3].

ولكن إذا كان كل من رسل ومور قد رأيا أن التصور الأخلاقى الأساسى هو «الخيرية» فإن «ايونج» يرى أن «الينبغية» هى التصور الأخلاقى للحدسية، لذلك تعد نظرية «ايونج» نظرية فى «الإلزام» أو هى «ذات طابع وجوبى» Deontological دون أن يؤدى هذا به إلى

(1) Ibid: p. 18.

(2) ألفريد ايونج: مقدمة فى فلسفة الأخلاق، ترجمة / محمد مدين، تقديم / توفيق الطويل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988م، ص42.

(3) المرجع السابق: ص43.

إغفـال النتائج عند تقديم الفعل، لذلك كان «ايونج» وجوبيًا فى تعريفه للخيرية، ولكنه كان غائيًا teleological بقدر ما كان يضع فى اعتباره نتائج الأفعال عند الحكم عليها[1].

وهنا نجد رسـل يدافع عن استقلال الخيرية الأخلاقية عن الرغبات الشخصية المتقلبة من وقت إلى آخر، ومن شـخص إلى غيره، فيرى أن من الامور المهمة فى البحث الخلقى أن ندرك أن الـشيء يعد خيرا فى ذاتـه، حيث أن الكيفية التى نمتلكهـا أو لا نمتلكها عن هذا الشيء تكون بعيدة بشكل مستقل تمامًا عن آرائنا أو أمنياتنا أو أمنيات الأخرين[2].

يرى رسـل أن معظم الناس يميلون إلى الاتفاق مع رأى «هاملت» Hamlet «بأنه لا يوجد شيء خيراً وسيئًا، ولكن التفكير هو الذى يجعل الشيء كذلك» وبالتالى يفترض أن التفضيلات الأخلاقية هى عبارة مسـألة ذوق. فإذا كان «س» يعتقد أن شيئًا ما يعد «خيرا» و«ص» يعتقد أن نفس الشيء يعد سيئًا، فكل ما يمكن أن نقوله فى هذه الحالة «هو أن هذا الشيء يكون خيرًا لـ «س» وسـوءا لـ «ص»، وفى هـذه الحالة يكون أحدهم على خطأ، ولكن من المسـتحيل أن نكتشف أيهما يكون على صواب وأيهما على خطأ[3].

نستخلص مما سبق، أن المحمول «خير» فى النظرية الحدسية ينبغى أن ينظر له فى سياق المصطلح الأخلاقى «خير» good (أعنى خاصية بسـيطة لا تقبل التحليل أو التعريف) فيكون كالمترادفات الأخلاقيـة مـن قبيل «الواجـب» duty و«الإلـزام» obligation حيث ينبغـى أن ينظر له كهذه الكيفيات الحدسـية[4]. كما أن المحمول «خير» يجب أن يكون مسـاويًا فى معناه الإيجابى للمحمول «قيّم» valuable حيث أن كلمة «خير» كلمة إيجابية فى حد ذاتها حتى فى تناقضها مع كلمة «سيء» bad [5]، بالإضافة إلى ذلك تنطبق كلمة «الخير» على أى ظرف يعد بسـيطًا فى حد ذاته، فإذا كانت القيمة «س» على سـبيل المثال - أفضل من القيمـة « ص» فإن ذلك لا يغير من خيرية القيمة «ص»، أضف إلى ذلك أن كلمة «خير» تنطبق على أى شيء له قيمة إيجابية فى كل الحالات[6].

(1) المرجع السابق: تعليق المترجم، ص12.

(2) Bertrand Russell: The Elements of Ethics, op. cit, p. 20.

(3) Ibid: p. 20.

(4) George F. Hourani: Ethical Value, op. cit, p.49.

(5) Ibid: p.51.

(6) Ibid: p. 51.

ولكن ...

إذا كان «مور» قد وقف بحدسيته الأخلاقية عند تصور الخيرية، فهل معنى هذا أن رسل لم يضف جديدا إلى النظرية الحدسية؟؟ و إذا كان «ايونج» قد ادخل مفهوم «الينبغية» إلى تصور الخيرية الأخلاقية؟؟ فما هى الصورة التى ظهرت عليها التصورات الأخلاقية؟؟ وما العلاقة بين الخير والصواب عند رسل؟؟

لقد حدد رسل الأفعال الأخلاقية، والأفعال غير الأخلاقية immoral actions قياسًا إلى معنى «الصواب» Right الذاتى، وعلى الرغم من ذلك لا يمكن فهم و إدراك التصرفات الأخلاقية دون الرجوع أيضًا إلى الصواب الموضوعى، وما الذى اعتقده أنا فى نفسى عن هذا الصواب الموضوعى[1].

يرى رسل أن الأفكار المتعلقة بالسلوك الصواب Right conduct والسلوك الخطأ wrong هى تلك الأفكار نفسها التى تحظى باهتمام النظرية الأخلاقية بوجه عام، وهذا الرأى فيما يراه رسل- قد يبدو غير دقيقٍ، ولكنه يُعزز باستخدام كلمة واحدة هى المحمول «خير» good الذى يعد نوعًا sort من السلوك الصواب، وكذلك الأشياء التى ينبغى أن ought to توجد باعتبار من قيمتها الأصيلة intrinsic value وهذا الاستخدام المزدوج للحد «خير» يعد مربكًا، حيث يميل إلى أن يجعل المعنى الحقيقى لكلمة «الخير» غامضًا ومبهمًا obscure وعلاوة على ذلك فإنه ينبغى الحديث هنا عن الأفعال actions الصواب وليس عن الأفعال الخيرة[2].

إن رسل يرى أن هناك طريقتين مختلفتين للحكم على السلوك الأخلاقى، الطريقة الأولى: هى التى تبناها دعاة مذهب المنفعة العامة utilitarians ويكون الحكم فيها على صوابية rightness الفعل عن طريق نتائجه التى تتبدل فى العلاقة بين خيرية الفعل وسوءه، أما الطريقة الثانية: هل التى يدافع عنها الحدسيون، ويكون الحكم فيها على الفعل من خلال الحاسة الخلقية moral sense إما بالاستحسان approval أو الاستهجان disapproval ويعتقد رسل هنا أنه من الضرورى أن نوحد بين كل النظريات الأخلاقية حتى يمكننا الحصول على

(1) Ronald Jager: The Development of Bertrand Russell's Philosophy, op. cit, p.467.

(2) Bertrand Russell: The Elements of Ethics, op. cit, p. 25.

مفهوم كليّ لمعنى الصواب والخطأ، حيث يعتقد رسل أن المعنى الأول للصواب هو «أن الرجل يفعل الفعل الصواب عندما يحقق له أفضل النتائج» (المنفعة)، أما المعنى الثانى هو «أن الرجل يفعل الصواب عندما يمليه عليه ضميره» conscience مهما كانت نتائجه المحتملة، وهناك الكثير من المعانى الأخرى التى نعطيها لكلمة «الصواب»، ولكن يبدو أن هذين المعنيين هما أكثر المعانى أهمية[1].

ولكن .. ما المقصود هنا بأوامر الحاسة الخلقية فى تصور رسل للصواب؟؟

يرى رسل أنه إذا كانت الإجابة تحمل معنى السلوك «الصواب»، فإننا لا نستطيع أن نقول أنها تتمثل فى الحكم على أن مثل هذه الأفعال هى «الصواب»، لأن ذلك يجعل مفهومنا عن «الصواب» مفهومًا دائريًا circular، ويمكننا أن نقول أن الحاسة الخلقية تتمثل فى عاطفة محددة ومؤكدة لاستحسان فعل ما، وهذا الفعل الذى يمكن أن يسمى «صوابًا»، وذلك عندما يشعر الشخص الذى يمارسه بمشاعر الاستحسان[2].

وهنا نجد فيلسوفنا يقع تحت سيطرة الرغبات والتى جاءت بمعنى «الاستحسان» و«الاستهجان» أى ارتبط الحكم الخلقى فى الحاسة الخلقية بمعنى العاطفة الشخصية أو الضمير والمشاعر، ومن ثم، فإن الرجل الذى ينقاد طواعية لأوامر ضميره، فإنه لا يأتى دائمًا الفعل «الصواب» بشكل موضوعى، فعندما يؤدى الرجل ما يوافق عليه أو ما يستحسنه ضميره، فإنه يفعل ما يعتقد أنه «صواب» بشكل موضوعى، لذلك فإننا نحتاج إلى معيار آخر أفضل من معيار الحاسة الخلقية للحكم على موضوعية الصواب[3].

إذا كانت رؤية رسل تحاول أن تصل إلى أعلى درجة من درجات الموضوعية فى فهم مضمون «الصواب» بعيدًا عن الضمائر النسبية بين الأشخاص، فإننا نجد هنا أن «ايونج» صاحب تصور «الينبغية» يرى محمول كلمة «الخير» يتناسق مع محمول كلمة «الصواب» أو «الواجب» كتناسق النوع مع الجنس، أما الاعتراض الذى قد يحدث هو أن هذه المفاهيم قد لا تكون متطابقة بالضرورة مع الاستعمال العادى للكلمات، فنحن نتحدث عن أشياءَ كثيرةٍ

(1) Ibid: pp. 25,26.
(2) Ibid: p. 26.
(3) Ibid: p. 27.

باعتبار أنها أشياء خيرة، ولكن ليس من الممكن أن تكون صوابًا، فعلى سبيل المثال، توصف الرواية أو المسرحية بأنها رواية خيرة بطبيعتها، ولكن ليس من الممكن أن تكون بالطبع رواية صواب، حيث أن كلمة الخير هنا وجدت لتشير إلى أن هذه الرواية قد دّونت بطريقة خيرة، فكلمة «خير» هنا لا تعنى صواب الحدث، وكذلك يمكن أن نقول أيضًا على سبيل المثال، أنه إذا كان المتقدم لمنصب ما شخص يوصف بأنه رجل خير تمامًا، ولكنه قد لا يكون الشخص المناسب لذلك المنصب، وعليها يكون من غير اللائق أخلاقيًا أن نعجب بوظيفة هذا الرجل، لذلك كانت هذه الأمثلة كافية لكى نقرر كما يقول «ايونج» أن محمول «الخير» لا يستخدم على حد سواء كنوع لمحمول «الصواب»[1].

وخلاصة القول.. إن محمول كلمة «الصواب» لا يمكن أن يطلق عليها مسمى «أنواع الخير» لأنه أحيانًا ربما لا يمثل شيئًا خيرًا فى موقف محتمل، وما يمكن أن يقال هنا أن محمول كلمة «صواب» تمثل أعلى نقطة ممكنة على مقياس مفاهيم «الخير» و«السىء»، ومن ذلك نستنتج أن كلمة «صواب» ينبغى أن تعالج فى سياق كلمة «خير»، وبنفس مضمون كلمة «سىء» bad، ولذلك تظهر كلمة صواب كمفهوم غامضٍ a dependent بمعنى أنه لا يمكن أن يُفهم إلا إذا فهمنا طبيعة المقياس الذى تقع عليه، فإذا فهمنا ماذا تعنى كلمة «الطول» length فإن ذلك يُحيلُنا لمعرفة أن ست وحدات تمثل فاصلاً قياسيًا لمقياس الطول[2].

(1) George F. Hourani: Ethical Value, op. cit, pp.52,53.

(2) Ibid: p. 55.